● **المبحث الثانى : التنبيه على خطرى الغثائية والاستكثار**

● **المطلب الأول : التفسير النبوى لظاهرة الغثائية :**

إذن بقى التساؤل الآتى : هل معنى ذلك أن الكثرة لا قيمة لها مطلقا؟

إن لدينا فى النص الأساسى العبارة ﴿ **فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ** ﴾ [الشعراء : ٦١] . إذ تعبر عن استخدام التقدير الحسى فى قوانين الغلبة، فقوم موسى خائفون من أن تدركهم الحشود الفرعونية، التى لا طاقة لهم لمغالبتها فى رؤيتهم الحسية، ومعنى ذلك أنهم لم يعرفوا أنهم لا يُدركون أصلا، فكيف يغلبون؟ وبمعنى آخر إنهم لم يعرفوا أن هذه الكثرة الفرعونية الطاغية ليست سوى غثاء كغثاء السيل، لا تمثل العنصر الفعال فى معادلة الغلبة، وهو ما يبينه قول الله تعالى : ﴿ **وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾، فالكثرة لا تنفع شيئا أمام الإيمان المؤيد بنصر الله، بل إن الاعتماد على مبدأ الكثرة يبعث على الغرور الذى يجر إلى الهزيمة النكراء، ومن هنا كان القرآن يحذر من هذه الرؤية القاصرة بقوله : ﴿ **وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَاءَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الأنفال : ٤٧ – ٤٨] فالآية تصحح الرؤية، بالنهى عن الخروج القائم على الغرور والبطر الناجم عن الشعور بأن الكثرة هى العامل الحاكم فى المعركة، كما أوهمهم الشيطان حين قال لهم ﴿ **لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ** ﴾، والعجيب أنه بعد ذلك، وبعد أن وقع الكفار وأتباعه فى الفخ، ﴿ **نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ** ﴾ لقد تبين من كلامه أنه قد رأى العنصر الفعال فى معادلة الغلبة، ولذلك نكص على عقبيه، بينما بقى الكفار فى الأجواء الوهمية القائمة على الرؤية الحسية وحدها[1]، وهى رؤية يصدق عليها قول الشاعر الحكيم :

---

(١) الكشاف ٢ / ١٦٢ .

أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فى من شحمه ورم

نعم هناك كثرة ضمن الإعداد الشامل للمعركة بين الحق والباطل كما الحال بين الفلسطينيين واليهود عليهم اللعنة، وهي رقم معتبر فى معادلة الغلبة، لذلك قال تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ** ﴾ [الأنفال: ٦٠] ولكن هذا الإعداد المادى القائم على العتاد والعدة يصبح غير ذى جدوى إذا دخل فى معادلة المغالبة عنصر الروح متمثلا فى «معية الله» التى لا تقهر، حتى لنرى الطفل من أبناء الحجارة يستحيى فى سلوكه موقف داوود عليه السلام حين أسقط طاغية بحجره.

وعلى هذا الأساس وجدنا الرسول ﷺ يقدم تفسيرا علميًا صحيحًا للظاهرة التي أطلق عليها مصطلح «الغثائية»، التى حملها إلينا الحديث الشريف: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها، قال قلنا: يا رسول الله أمن قلة بنا يومئذ؟ قال: أنتم يومئذ كثير، ولكن تكونون غثاء كغثاء السبيل، تنزع المهابة من قلوب عدوكم ويجعل فى قلوبكم الوهن، قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: حب الحياة وكراهية الموت»[1].

هذا الحديث يفسر بإيجاز شديد القواعد التى تقوم عليها معادلة الغلبة بحيث نفهم أن لهذه المعادلة وجهين:

١ - الوجه الأول: وهو الذى يصور المعادلة فى طرفيها حين يقوم الصراع على المصالح بعيدا عن المبادىء، فلم تعد - فى هذه الحال - الدوافع إلى القتال والمصارعة هى الإيمان والتقوى وحب الجنة والخوف من النار، بل هى الغنائم والمحافظة على السلطة، ففى هذه الحال تكون الغلبة للأقوى والقوة هنا تعنى العتاد والعدة، وعندئذ تصاغ المعادلة هكذا: عتاد + عدة = الغلبة للأقوى.

وهذه المعادلة هى التى يفسرها الجزء الأول من الحديث: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة على قصعتها».

---

(١) أحمد بن حنبل: المسند: ٥/٢٧٨.

٢- الوجه الثانى: وهو الذى يكشف عن طرفى المعادلة حين يكون الصراع حول المبادىء عن النزعة الذاتية والمصالح المادية، ففى هذه الحال يحضر عنصر جديد فى المعادلة إلى جانب العنصرين السابقين وهو (التقوى) وفى هذه الحال تكون (الغلبة للأتقى) وعندئذ تصاغ المعادلة كما يلى: العتاد + العدة + التقوى = الغلبة للأتقى.

وهذه المعادلة هى التي يفهم معناها من خلال تفحص عمق الحديث، لنعرف أن الغثائية مكمنها (العدة) القائمة على الكثرة العددية والمادية دون التعبئة الروحية وهذه الصورة هى التى تجلب البطر والخيلاء والغرور، فتؤدى إلى أن تنزع المهابة من قلوب الأعداء لتحل محل الكثرة الفارغة من المحتوى الجهادى، لأنها أمتلأت بحب السلطة بدلا من أن تمتلىء بحب الله ودينه فتستحق مؤازرته ومناصرته عن طريق توفيق الله وهديه عباده فى اللحظات الحرجة إلى الحلول الحقيقية مادية كانت أو غيبية كالتى قال عنها سيدنا موسى حين حوصر: ﴿**كَلاَّ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ فجاءه الهدى والمدد: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ**﴾ [الشعراء: ٦٢ - ٦٣] أو تلك التى رأيناها فى غزوة حنين تعبر عنها الآية: ﴿**ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ**﴾ [التوبة: ٢٦].

ومن كل ذلك يتبين أن المعادلة الأساسية للغلبة إنما هى المعادلة التى تراعى عناصر الطرفين المتصارعين، بحيث يوضع عنصر الكثرة فى موضعه اللائق به لئلا يتحول إلى غثائية وهذا ما يفسر مقولة أبى بكر الصديق حينما أرسل مدداً يتكون من الفقهاء متجنبا الكثرة غير الواعية لما ينجر عنها من التزامات، وما يفسر قول أحد القادة الروم، قديما: «لا يرى قوم وجه خالد قلوا أو كثروا إلا انهزموا»[١]. لقد أصدر هذا القائد حكمه بناء على تجربة طويلة بالمعارك التى

---

(١) الطبرى: تاريخ الطبرى ٢/٣٢٥.

يخوضها المسلمون ضده تحت إمارة خالد، هذه المعارك التى أدرك من خلالها أن معادلة المغالبة لاتخضع لمعيار العدة بقدر خضوعها لمعيار التقوى والإيمان الناجمين عن الفقه بأسرار الجهاد قبل الفقه بأسرار المعارك، وذلك لأن الكثرة قد تجر إلى مرض نفسى حذر منه الخليفة أبو بكر الصديق خالد بن الوليد رضى الله عنهما بقوله: «ولا يدخلنك عجب فتخسر وتخذل»[1] وعبر عنه خالد بقوله: «إن هذا يوم من أيام الله لا ينبغى فيه الفخر... اخلصوا جهادكم وأريدوا الله بعملكم»[2].

إن القادة المسلمين قد أدركوا هذه الحقيقة عن كثب، وتبين لهم أن العبرة ليست بالعامل المادى، حتى قال سعد بن أبى وقاص فى رسالة إلى عمر رضى الله عنهم أجمعين يخبره فيها عن انتصاره فى معركة مع الفرس «قد لقوا المسلمين بعدة لم ير الراءون مثل زهائها فلم ينفعهم الله بذلك»[3]. وقال معاذ بن جبل يحرض الجيش: «لا يهولنكم جموعهم ولا عددهم»[4].

بل أدركوا أن العبرة كل العبرة بالعامل الروحى والأخلاقى حتى قال أبو بكر الصديق: «إن مثلكم لا يؤتى من قلة وإنما يؤتى العشرة آلاف (١٠٠٠٠) من الذنوب، فاحترسوا منها.. وليصل كل واحد منكم بصاحبه»[5]، وعلى هذا الأساس، وبناء على ما سبق فإن المستقبل الفلسطينى لمن يحارب على القدس لأنها رمز الإيمان والإخلاص والتضحية فى سبيل الله، ومن ثم فهى البرهان على حضور النصر الروحى الذى يبعد شبح الغثائية من دائرة الإسلام لتصبح سمة الجيوش اليهودية، ومن وراءهم من الكفار والخونة لعنة الله عليهم، ولكن أمام هذه المعادلة لابد من طرح أثر الأستكثار كمشكلة يعانى منها اليوم العالم الإسلامى كثيرا نتيجة الخيانات الناجمة عن عاملين أساسيين فى معادلة الغلبة وهما: ضعف الإيمان وقلة الفقة.

---

(١) نفسه ٢/٣٢٩.
(٢) ابن كثير: الكامل فى التاريخ: ٢/٤١١.
(٣) البداية والنهاية ٧/٤٦.
(٤) ابن أعثم: الفتوح ص٢٥٥.
(٥) ابن كثير: الكامل ٢/٤٠٦.

● **المطلب الثانى: التنبيه على خطر استكثار حزب الكفار:**

سبقت الإشارة إلى أن الكثرة حين تفرغ من محتواها تصبح غثائية، وهذا يطرح مشكلا آخر يدخل فى الحرب النفسية، التى تلعب الكثرة العددية فيها دوراً فعالاً فى إفشاء الرعب فى القلوب مما يؤدى فى الغالب إلى الهزيمة.

وهذا الجانب الهام فى المعادلة هو الذى تعبر عنه الآية: ﴿**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ**﴾ [الأنفال: ٤٣- ٤٤].

المسألة هنا مسألة العوامل النفسية، الناجمة عن التأثيرات المظهرية المختلفة، والتي تتجلى خصوصا فى المظهر الخارجى للجيش أو الأمة، بحيث يتأثر ضعيف الإيمان بما يراه لدى الأعداء من عدة فيفشل، وينازع أصحابه نتيجة الخوف والهلع مما يرى: ﴿**وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيراً لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ**﴾ لقد أراهم الله لرسوله ﷺ فى منامه قليلا، وهم كثير، فحدَّث بذلك أصحابه فاستبشروا، وفى الغد رأوْهم بعين الحس مرتبطة مع بصيرة القلب فاستقلوهم، ونجم عن ذلك شجاعة فغلبوهم فى بدر وهي أول غزوة بإذن الله، قال قطب: «رآهم رسول الله - ﷺ - قليلا وهم كثير عددهم، ولكن قليل غناؤهم، قليل وزنهم فى المعركة، قلوبهم خواء من الإدراك الواسع، والإيمان الدافع، والزاد النافع، وهذه الحقيقة الواقعة من وراء الظاهر الخادع هى التى أراها الله لرسوله، فأدخل بها الطمأنينة على قلوب العصبة المسلمة، والله عليم بسرائرهم، مطلع على قلة عددهم وضعف عدتهم، وما تحدثه فى نفوسهم - لو عرفوا كثرة عدوهم - من ضعف المواجهة وتنازع عند الالتحام أو الاحجام»(١).

قال ابن مسعود رضى الله عنه «لقد قُللوا فى أعيننا حتى قلت لرجل إلى جنبى أتراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا له: كم كنتم؟ قال: ألفا»(٢).

---

(١) فى ظلال القرآن ٣/١٠/١٥٢٧.

(٢) الكشاف ٢/١٦١.

ربما كان الهدف من تقليل الكفار فى أعين المسلمين هدفا نفسيا صرف، ليس له من غرض سوى تشجيع الصف الإسلامى، ولكن ما الهدف من تقليل المؤمنين فى أعين الكفار حتى قال بعض الكفار: إنهم أكلة جزور[1]؟ لا شك أنه هدف نفسى أيضا، ولكن يختلف من جهة الغرض، إذ هو أن يبعثهم الإعجاب بالنفس والكثرة فيصابوا بالغرور الذى يعد قاصمة الظهر فى الحروب، قال الزمخشرى: «قللهم فى أعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيما بعده ليجترؤا عليهم قلة مبالاة بهم، ثم تفاجئهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن فى حسابهم وتقديرهم، ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم أولا وكثرتهم آخرًا»[2].

ومما يدل على أن الهدف فى الحالين نفسى ما جاء فى آية سورة آل عمران تنبيها لليهود ليعتبروا[3]، فقال تعالى ﴿**قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ**﴾ [آل عمران: ١٢ - ١٣].

غرض الآية هنا التذكير بالحادثة فى حقائقها الواقعية المحسوسة، لذلك أخبر تعالى بأن عدد الكفار برأى العين الحقيقية وليس بالتأثير النفسى الذى أوقعه الرسول ﷺ فى نفوس الصحابة عن طريق التبشير بالرؤيا، كان يبدو لهم بعد التحقق ضعفين، قال ابن كثير: «عندما عاين كل من الفريقين الآخر رأى المسلمون المشتركين مثليهم، أى أكثر منهم بالضعف ليتوكلوا ويتوجهوا ويطلبوا الإعانة من ربهم عز وجل، ورأى المشركون المؤمنين كذلك ليحصل لهم الرعب والخوف والجزع والهلع.. إن فى ذلك لعبرة لمن له بصيرة وفهم، ليهتدى به إلى حكم الله وأفعاله وقَدَره الجارى بنصر عباده المؤمنين فى هذه الحياة الدنيا ويوم

---

(١) الكشاف: ٢/١٦١.
(٢) نفسه.
(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ١/٣٥٠.

يقوم الأشهاد»[1]، وقال: «ترى الفئة المسلمة الفئة الكافرة مثليهم أى ضعفيهم فى العدد ومع هذا نصرهم الله عليهم»[2].

من كل ذلك نستنتج حقيقة علمية هامة جدا، وهى أن العامل النفسى له تأثير كبير فى قضية الغلبة، وأن القرآن الكريم أكد عليه غيرما مرة، مبينا فى الوقت نفسه بصريح النص - كما رأينا فى آيتى آل عمران - على أن العامل الروحى هو الأقوى ﴿**واللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ**﴾ ومن هنا طرح السؤال الفقهى الكبير: ما حكم استكثار مجالس الكفار وصفوفهم ما دام للاستكثار دوره العظيم فى التأثير النفسى؟؟؟

روى البخارى فى «باب من كره أن يكثر سواد الفتن والظلم» عن أبى الأسود قال: اخبرنى ابن عباس: أن أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين، يكثرون سواد المشركين على رسول الله ﷺ فيأتى السهم فيرمى فيصيب أحدهم فيقتله أو يضربه فيقتله فأنزل الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ**﴾[3].

فسر ابن باديس هذا الحديث كما يلى: «إن قوما من المسلمين كان المشركون يخرجونهم معهم لا ليقاتلوا المسلمين، وإنما ليكثروا سواد المشركين ويظهروا عظم جيشهم، وكثرة عددهم فى أعين المسلمين، فكانوا يقتلون بما يصيبهم من رمى السهام وضرب السيوف فأخذهم الله بمجرد تكثيرهم سواد المشركين وإن لم يشاركوهم فى القتال ولا حضروه طائعين وأنزل الآية الكريمة فيهم»[4].

وقد استنتج ابن باديس من هذا الحديث حكما شاملا فى الاستكثار من صف الخير أو صف الشر هو: من حضر من قوم وكثّر جمعهم فهو منهم وشريك لهم فى عملهم سواء أكان خيراً أم شراً كما يفيده الحديث.. فأما فى الشر فالنص فيه حديث ابن عباس هذا، وأما فى الخير فحديث أبى هريرة فى الصحيح فى القوم الذين يجتمعون فيسبحون الله ويكبرونه ويستغفرونه فيقول الله للملائكة

---

(١) تفسير القرآن العظيم ١ / ٣٥٠.
(٢) نفسه.
(٣) صحيح البخارى ٤ / ٣٦٢ الحديث رقم: ٧٠٨٥.
(٤) ابن باديس عبد الحميد: مجالس التذكير من حديث البشير النذير: ص٨٩.

عليهم السلام، «قد غفرت لهم فأعطيتهم ما سألوا وأجرتهم مما استجاروا، فتقول الملائكة: رب فيهم فلان خطاء، إنما مر فجلس معهم فيقول تعالى: وله غفرت، هم القوم لا يشقى بهم جليس»[1].

من كل ذلك نخلص إلى أن تكثير سواد صف من الصفوف له تأثيره على الطرف الثانى سلبا أو إيجابا، وعليه فإن على المسلمين أن يعرفوا كيف يتحركون فى العصر الحديث سياسيا، فيعرفوا قيمة الاستكثار فى المظاهرات الاحتجاجية، وفى الانتماءات الكبرى بين الدول، بحيث يقفون مع الصفوف التى تناصر الحق، كما هو الحال بالنسبة للقضايا العربية والإسلامية الكبرى كقضايا التصفية الاستعمارية والتحرر الاقتصادى فى العالم وكقضية فلسطين وبيت المقدس بصفة خاصة، وقد رأينا فى انتفاضة أطفال الحجارة بفلسطين كم أرعب اليهود حينما رأوا الجماهير الغفيرة من الشعوب الإسلامية فى العالم تخرج فى مظاهرات ومسيرات صاخبة مستنكرة الاعتداء الصهيونى على المقدسات الإسلامية التى عمد - شارون - إلى تجنيسها بالمرور بساحة بيت المقدس، فثارت ثورة الشباب الفلسطينى بالمسجد أولا ثم أخذوا يتكاثرون حتى عمت كل فلسطين ثم انتشرت لتعم العالم الإسلامى، وبذلك اضطر القادة العرب إلى عقد قمة عربية لمناقشة القضية على الرغم من جمود العمل فى جامعة الدول العربية منذ ١٩٩٥ إلى غاية ٢١ أكتوبر سنة ٢٠٠٠.

بل لقد رأيت فى القنوات الفرنسية مظاهرة يهودية مضادة تحتج على فرنسا لأنها تقدم فى شاشاتها التليفزيونية صوراً للأعمال البشعة التى يقوم بها اليهود فى الأراضى المحتلة، ومنها الصورة الفعالة التى التقطها بعض الصحافيين للطفل - محمد الدرة - الذى قتله الصهاينة وهو يختبىء خلف أبيه كالعصفور بلّله القطر، فكان القطرة التى أفاضت الكأس، إن كل هذا الذى حدث لم يكن سوى نتيجة للاستكثار من سواد الصف الإسلامى، مما يبين دور الاستكثار فى نشر الحق أو الباطل على حد سواء.

---

(١) نفسه: ٨٩ - ٩٠.

ولهذا السبب بالضبط نهى الله عن مجالسة أهل الكفر وجعل من يجالسهم مثلهم، ولاشك عندى أن حضور المحاضرات الإسلامية بنية تكثير الصف الإسلامى فيه أجر كبير، لأنه فى العصر الحديث حرب على الكفر ما فى ذلك شك، لما يجلبه من مهابة للصف الإسلامى، ولما يزرعه من وعى وفقه بقانون الغلبة.

وخلاصة القول: فى هذا الفصل أن مآل الأقلية دائما هو الفوز والفلاح ولو بعد حين، لأن الله هو الذى يتولى حمايتهم والدفاع عنهم والتمكين لهم فى الأرض، فمن جهة الحكم فإن الله وعدهم بالتمكين فقال: ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا**﴾ [النور: ٥٥] وذلك لأنهم صمام الأمان فى بقاء العدل فى الأرض وهو قوام الحياة واستمرار الوجود البشرى وصلاحه.

وعليه فإنه من جهة الصراع المادى سيهزم الكفار أمامهم بإذن الله مهما كانت عدتهم وعددهم، متى كان الصف الإسلامى ممتلئا بالإيمان خاليا من المنافقين والخونة، وأكثر من ذلك يُدخل الله هذه القلة المؤمنة فى الصالحين، ليقوى صف العمران بأهل الخير.

ومن جهة الغلبة فقد حللنا الرؤية التى ينطلق منها الكفار بالنسبة لقانون الغلبة، وبينا الطرح العلمى الحقيقى لسنة الغلبة باعتبار تدخل المبدأ الروحى الذى لم يكن بالحسبان فى رؤية الكفار وفى تحليلاتهم، ثم التنبيه على خطر الغثائية وبيان التفسير النبوى لها كظاهرة مرضية لها أسبابها التي يأتى على رأسها قلة الفقه وغياب التقوى، ثم التنبيه على خطر ظاهرة استكثار صف الكفار وما ينجر عنه من آثار سيئة، وكل ذلك يبين مآلات الأقلية على المستوى الدنيوى، مما يؤهلها للغلبة والاستخلاف مهما طال الأمد، والآن سنشرع فى بيان المآل الأخروى للأقلية.

* * *